

الأستاذ أحمد فوزي الهيب رؤيته لجدلية التراث والحداثة وقراءة في سمات منهجه التحقيقي

Professor Ahmed Fawzi Al-Heeb, his vision of the dialectic of heritage and modernity, and a reading of the features of his investigative approach.

الطيب هلالي*

جامعة الجزائر2(الجزائر)

Taib.helali@univ-alger2.dz

تاريخ القبول: 19/12/2021

تاريخ الإرسال: 2021/12/09.

الملخص:

قد كان أستاذنا الدكتور أحمد فوزي الهيب من أبرز من عرفتهم الساحة العلمية الأدبية، واللغوية في الوقت الحالي، سواء في مجال التحقيق، أو في مجال التأليف، وقد حظيت بالدراسة عليه، والأخذ عنه في أواخر أيامه، وإنَّ من أقل ما يمكن أن يقدمه التلميذ وفاء لمعلمه، أن يدون ما علمه من سيرته، لأن في ذلك إحياء لذكوره، وقديما قالوا: ذُكِرَ الفتي عمره الثاني، وفلان عاش حين مات، ومن هذا المنطلق أنبئني هذا المقال، وقد تناولنا فيه بعض الجوانب من سيرة الأستاذ أحمد فوزي الهيب رحمه الله، ومسيرته العلمية، حيث سردنا شيئا من سيرته، ومواقفه، بحسب ما شاهدناه، أو سمعناه منه في عامه الأخير، كما تناولنا جانبين مهمين من جوانب مساراته العلمية، والثقافية. فالجانب الأول متصل برؤيته لمفهوم الحداثة والتراث وموقفه منهما، والجانب الثاني متصل بسمات منهجه في تحقيق الكتب.

الكلمات المفتاحية: أحمد فوزي الهيب، التراث، الحداثة، التحقيق، سمات المنهج، المسار العلمي والثقافي

*المؤلف المرسل: الطيب هلالي

Abstract:

Our professor, Dr. Ahmed Fawzi Al-Hayeb was one of the most prominent people I knew in the scientific arena at the present time, whether in the field of investigation, or in the field of authorship. He writes down what he knows from his biography, because this is a revival of his remembrance, and in the past they said: The boy's memory is his second life, and so-and-so lived when he died, and from this point of view this article was created, We have dealt with it some aspects of the biography of Professor Ahmed Fauri al-Hayeb, may God have mercy on him, and his scientific career, where we have listed some of his biography and his positions, according to what we saw or heard from him in his last year, and we also dealt with two important aspects of his scientific and cultural career, the first aspect is related. His vision of the concepts of modernity and heritage and his position on them, and the second aspect is related to the features of his approach to achieving books.

Keywords: Ahmed Fawzy Al-Heeb, heritage, modernity, investigation, Curriculum features, scientific and cultural track

مقدمة:

لاشك أن دراسة سيرة الأستاذ الهيب رحمه الله ومسيرته العلمية، والأدبية، والثقافية، تحتاج إلى الوقوف على كل مرحلة من مراحل حياته، من حين نشأته إلى حين وفاته رحمه الله، ومع ذلك فكما قيل ما لا يدرك كله لا يترك كله، ولهذا فقد أحببنا تدوين بعض المحطات من سيرته ومسيرته العلمية، وأحب أن أشير إلى أنني لم ألتق بالأستاذ رحمه الله إلا في عامه الأخير، حيث تشرفت بالدراسة عليه في مادة الأدب، ولهذا فإنني سأبدأ من هذا العام وأنتهي إليه في تدوين سيرته، وإن كنت أجد أن في إطلاق لفظ السيرة على تدوين سيرة عام واحد، ضرب من المجاز المنافي للحقيقة، إذ هو من باب إطلاق الكل مراداً به الجزء، ولو أراد واصف أن يصف هذا الضرب من التدوين، لقال هذا تدوين مقتضب، إلا هذا التدوين لا يعدم من قيمة مهمة، لو نظرنا إلى أن هذا التدوين - وإن كان

مقتضبا - كان تدويننا لمرحلة هي آخر مراحل حياة الأستاذ رحمه الله، ولا شك أن آخر المراحل في السير، تحظى باهتمام كبير عند المؤرخين وأصحاب السير، إذ هي مرحلة الاكتمال، والنضج العلمي، والأدبي، وقد أحببت إضافة إلى تدوين بعض من سيرة الأستاذ رحمه الله، أن استقرئ بعضا من مسارات الأستاذ رحمه الله العلمية، أو الثقافية، فافتصرت منها على جانبين: جانب يتعلق بموقفه من التراث والحداثة، وجانب يتعلق بمجال التحقيق، حيث حاولنا الوقوف على بعض السمات المميزة في عمله التحقيقي، ولهذا كان المقال مقسما إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول كان بعنوان: نبذة من سيرة الأستاذ أحمد فوزي الهيب رحمه الله، والقسم الثاني كان بعنوان: موقف الأستاذ أحمد فوزي الهيب رحمه الله من التراث والحداثة، والقسم الثالث كان بعنوان: التحقيق عند الأستاذ أحمد فوزي الهيب رحمه الله وبعض سماته المميزة.

1: نبذة من سيرة الأستاذ أحمد فوزي الهيب رحمه الله

1-1 سمته و هيئته:

إن من أهم صفات المعلم في ثقافتنا العربية الإسلامية، أن يكون معلما بفعاله، وأحواله، قبل أن يكون معلما بألفاظه، وأقواله، وقد كان العلماء دائما ما ينهون إلى ضرورة مناسبة العلم لظاهر المعلم، وباطنه، ولعل من أشهر ما يذكرون في مثل هذا السياق قصة أم الإمام مالك، حينما أرسلته إلى ربيعة الرأي، وقالت له: "تعلم من أدبه، قبل علمه"¹، ولا شك أن لهيئة المعلم والمربي تأثير على المتعلم، فقد تكون الهيئة مدعاة لراحة النفس، وطمأنينتها، وتلك مدعاة الارتياح أثناء الدرس والتعلم.

وقد كان الأستاذ رحمه الله تعالى ذا هيئة ووقار وسكينة، تعرف ذلك منه في الجلسة الأولى، فهو لا يسرع في كلامه، وإنما يتكلم كلاما وسطا، لا يسرع فيه ولا

بيط، وقد كان رحمه الله وهو يحاورنا في مجلسه يعطي كل واحد منا حظه من
المباشرة بالوجه، و النظر، قليل الحركة، والإشارة باليد.

كما كان رحمه الله رقيق الحاشية، رقيق القلب، أذكر مرة أننا تناشدنا
أبياتا من قصيدة أبي ذؤيب الهذلي² والتي مطلعها:

أمن المنون وربها تتوجع**والدهر ليس بمعتب من يجزع

حتى ذكرنا الأبيات التي فيها:

ولقد حرصت بأن أدافع عنهم** فإذا المنية أقبلت لا تدفع

وإذا المنية أنشبت أظفارها** ألفت كل تميمة لا تنفع

فرايت الأستاذ قد تأثر بها تأثرا بالغا، وغطى وجهه بيديه، حتى إني لأظن ظنا
يقارب اليقين أنه قد بكى رحمه الله.

وأحب أن أذكر هنا موقفا مما يتصل بعبادته رحمه الله³، وحرصه على أداء
الصلاة في وقتها، وذلك أنه مرة بعدما أنهينا الدرس معه، وكانت قد حانت صلاة
الظهر، فلما أردنا الخروج من القاعة استأخر عنا رحمه الله، ليقوم في زاوية من
زوايا القاعة محرما بالصلاة، فلما رأيت المنظر أنا ومن كان معي تملكنا شيء من
العجب، إذ من شأن القاعات في الجامعة أن تكون مغبرة، أو بها شيء من الأذى،
ولم يفترش الأستاذ شيئا يقي لباسه، أو جبهته، ولم ينتقل إلى مصلى الجامعة،
وإنما صلى على تلك الحالة رحمه الله رحمة واسعة.

2-1 تواضعه :

كان الأستاذ رحمه الله له من التواضع الحظ الأوفر، لا يستنكف إن جهل
مسألة أن يقول لا أدري، أو الله أعلم، ومن المواطن التي لا زلت أذكرها، أنه مرة
تعرض في درسه لكلمة (تونس)، فحكى في شكلها لغتين ضم النون وفتحها، فقلت

له مستفسرا بأنه مرّ علي - لا أدري قرأتها في كتاب من الكتب، أو سمعتها من قول قائل - ، أنها أيضا تقرأ بكسر النون، وذكرت له أن سبب تسميتها أن أحد الداخلين إليها لما وجد فيها ما يؤنسه قال هذه بلدة تؤنس، فسميت بذلك الاسم منذ ذلك الوقت، وسألته عن هذه القصة، ومدى صحتها، فكان مما أجابني به رحمه الله: الله أعلم، ولكن الذي أعرفه - ولست متأكدا - أن ياقوت الحموي شكلها بالفتح والضم ، ثم طالبني رحمه الله بالبحث عنها لآتيه في الحصة القادمة بفائدتها !!، وهذا من تورعه رحمه الله تعالى وتواضعه.

1-3 حرصه على الإفادة:

لا شك أن من مميزات المعلم المربي أنه لا يتخذ من التعليم مجالا محددا بإطار مقررات الوظيفة، وإنما يحاول جهده أن يفيد طلبته بأي وسيلة من وسائل الإفادة، وقد كنت ألمح من أستاذنا هذه الميزة، حيث كان حريصا على أن نكوّن أنفسنا طالما مازلنا في مرحلة الطلب، ومن مظاهر عنايته بإفادته للعلم، أنه مرّة أعارنا قرصا يحوي جميع مكتبته الإلكترونية، وقد أذن لنا رحمه الله، بل أوصانا أن لا نحبس هذه الكتب عندنا، وأن نمنحها كل من يريدنا حتى تكون صدقة جارية.

ومن مظاهر العناية بإفادة طلبته كذلك، أنه كان حريصا على العمل الجماعي، و الاجتماع بين الطلبة والتعارف بينهم، حتى تكون بينهم صلوات وروابط علمية، وكان يكرّر أن من أسباب ضعف العرب سواء في المجال العلمي، أو في غيره من المجالات هو عزوفهم عن العمل الجماعي.

1-4 احترامه لزملاء العمل والإشادة بهم:

مما كنا نلاحظه في علاقات الأستاذ بزملائه الأساتذة، أنها كانت تسودها المحبة، والتقدير، والاحترام، فقد كانوا يجلسونه، و يوقرونه، وهو بدوره كان على

قدر كبير من الإشادة بهم، والرفع من مقامهم، وأذكر هنا مما يتصل بهذا واقعتين وقعتا ونحن في الدرس معه:

– **الواقعة الأولى:** كانت حينما دخل علينا أحد أساتذتنا الأجلاء، ونحن في الدرس بعد أن استأذن ليتكلم مع الأستاذ في أمر ما، فلما خرج الأستاذ الذي دخل، التفت إلينا الأستاذ رحمه الله وقال: هل تعرفون الأستاذ فلان، قلنا له نعم، هو يدرسنا مادة كذا، فتبسم ثم قال: الأستاذ فلان رجل عالم، وجدير بأن أقول إن أستاذنا الذي دخل يصغر أستاذنا الهيب رحمه الله بأعوام، تصيره أن يكون في مرتبة ولده، ومع ذلك يعترف له الأستاذ بما اعترف، وفي هذا دلالة على تواضعه رحمه الله، وحبه للإشادة بذوي الفضل، والعلم..

– **والواقعة الثانية:** حدثت ونحن في الدرس أيضا، وذلك أنه دخل علينا أحد الأساتذة الفضلاء أيضا، وأظنه كان مارا على القسم الذي فيه الأستاذ إلى الإدارة، فأحب أن يعرِّج على الأستاذ أولا، فلما دخل علينا وقف له أستاذنا رحمه الله، وبقينا نحن على سداجتنا جلوسا، فتغير وجه أستاذنا رحمه الله، وأمرنا بالوقوف لأستاذنا الذي دخل فوقفنا، وقد عرف الأستاذ الداخل، ما في وجه أستاذنا من الغضب والكرهية، فأراد أن يلفظ الأمر فتبسط حفظه الله متبسما، وسمح لنا بالجلوس، ولما خرج أستاذنا الداخل، جلس أستاذنا رحمه الله، ثم قال لنا كلاما أذكر معناه وهو أنه قال: أنا لم آمركم بالوقوف من أجل ذاته، أي أننا لا نقدس الأشخاص، وإنما أمرتكم بذلك من أجل علمه أي احترامنا للعلم، ولعل هذه الكلمة هي التي قالها بنصها، واستشهد بقول النبي صلى الله عليه وسلم: {قوموا إلى سيديكم}⁴.

1-5 تعليمه و تدرسه:

كل أستاذ ومعلم له طريقته الخاصة في التعليم، والتدريس، أما طريقة تعليم أستاذنا رحمه الله تعالى فقد كان لا يفضل أن يلقي علينا الدروس ثم

نكتبها ، وإنما كان دائما ينيهنا ويقول: أنتم أساتذة، وأنا أحب أن أتناقش معكم، فكان درسه عبارة عن مناقشة، ومباحثة، وقد قرأنا عليه بعض مقدمات لكتب لغوية، كمقدمة كتاب النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري ومقدمة النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير وغيرهما، وقد كان يستشيرنا عند الانتهاء من قراءة مقدمة ما، أن نختار نحن مقدمة لنشرع فيها في الحصة المقبلة بالدرس ، وطريقة تدريسه للمقدمات، أنه كان يأمر أحدها أن يقرأ مقطعا من المقدمة، ثم يقف عند كل جملة بالشرح، والتعليق، أو تصحيح لحن إعرابي يقع فيه الطالب، ثم يأمر طالبا آخر أن يتابع القراءة، وذلك حتى يعطي كل واحد منا فرصة القراءة، وفرصة الاستفادة من أخطائه الإعرابية التي يقع فيها، وكان يحرص على أن نبين إعراب الكلمات، وينيها عن اختلاس حركة الحرف، أو تسكينه في مواطن الوصل، وأحيانا يطلب منا إعراب الكلمة، ومما كان يحرص عليه أنه كان ينيهنا على غلطات المحققين في تحقيقهم للكتاب، فكان يقف عند الأخطاء المنهجية وكذلك الأخطاء المتعلقة بالجوانب الفنية، أو الشكلية كمواقع الفاصلات مثلا فيبين أنها في غير موقعها، ويعقب كذلك على تعليقات المحقق، و تحشياته، من حيث هي مطلوبة ضرورية أم هي مما يحسن الاستغناء عنها، وإذا مر بكلمة تحتاج إلى شرح، أو تعليق، كأن يكون في الكلمة لغتان مثلا عقب بالشرح، وأحيانا كان يعيد شرح الكلمة إذا تكرر ورودها في مقدمة أخرى، ومما أذكره عنه رحمه الله أنه كان يقول: هكذا يجب أن تقرأ كتب التراث، أي يجب أن تقرأ على مكث وتمهل لا أن تقرأ قراءة عابرة .

2: موقف الأستاذ أحمد فوزي الهيب رحمه الله من التراث

والجدائة:

كان الأستاذ رحمه الله معجبا بما أنتجته الحضارة العربية الإسلامية من العلوم، محبا لكتبها التراثية، موقرا لعلمائها، ومن مظاهر اعتزازه وتأكيد انتمائه

أنه كان يكثر منه التعبير بلفظ الأجداد بدلا عن لفظ العلماء، وكأنه بذلك يذكر بالصلة القوية بيننا وبين أسلافنا، وأن الصلة تعدت أن تكون صلة ثقافية علمية، حتى صارت صلة نسبية، فهو يقول مثلا: "وذلك لأن أجدادنا عنوا بالترجمة عناية فائقة، ونقلوا هذا التراث الأجنبي إلى البشرية نقلا دقيقا"⁵، ويقول أيضا وهو يذكر أهم الأدوات التي يجب أن تكون عند المحقق: "المعرفة الحقيقية بعلم التحقيق، وأصوله، وتاريخه، وجهود أجدادنا العرب فيه"⁶، ويقول وهو يتحدث عن اللغة العربية: "ثم ارتباط نحوها بالمنطق، وغنى دراستها التراثية التي أبدعها الأجداد"⁷، ويقول في مقدمة ديوان جابر: "وقد سلطنا في جمعنا لشعر جابر المسلك الذي اتبعه أجدادنا في جمعهم لدواوين أشعار شعرائهم ... وفضلنا هذا الترتيب على ترتيب السكون، فالفتح، فالضم، فالكسر، الذي اعتمده بعضهم حديثا، وذلك لأنه كان ترتيب أجدادنا... وقد تجشمتنا ما تجشمتنا فيما تقدم رغبة منا في التسهيل على الباحث الكريم، واتباع منهج علمي دقيق قائم على أسس موضوعية، وإحياء سنة الأجداد ليتبعها الأبناء المعاصرون الغيورون على تراث الأجداد العظيم، إذا فيها رأوا خيرا"⁸.

ومما ينبغي الوقوف عنده هنا قوله رحمه الله: (إذا رأوا فيها خيرا)، فإن هذه العبارة تدل على أن الأستاذ رحمه الله كان على وعي ويقظة بأن التراث ليس على طبقة واحدة، وإنما يجمع بين ما هو مقبول ملائم للعصر الذي نعيشه، وبين ما هو مرفوض لعدم الملاءمة.

ومن هنا فلم يكن رحمه قاصرا نظره على التراث فقط، وإنما كان منفتحا على ما جاءت به الأمم والحضارات الأخرى - خاصة الحضارة المعاصرة - فهو يقول في مجال التحقيق مثلا: "وخلاصة القول أننا في علم التحقيق، وفي غيره أيضا، يجب أن ننبذ التعصب جانبا لنفيد مما جاء منه في تراثنا العربي من جهة، ونفيد في الوقت نفسه مما قاله المستشرقون، فنكون بهذا جمعنا

الحسنين، ولاغرو في ذلك، فالحكمة ضالة الإنسان العاقل أينما وجدها التقطها"⁹.

بل كان رحمه الله يرى أن الانحصار في دائرة التراث لا ينتج إنسانا تراثيا، كما أن قطع الإنسان صلته بالتراث لا تنتج منه إنسانا حداثيا، يقول: " إن الإنسان لا يمكن أن يكون تراثيا حقا إذا تعصب، وتقوقع، وتحجر على التراث، وأدار ظهره عما سواه، وكذلك لا يمكن أن يكون حداثيا حقيقة إذا اغترب عن نفسه، وانقطع عن جذوره، وضاع في متاهات تيارات العصر يخبط خبط عشواء على غير هدى... أن الحداثة الحقيقية لا يستطيعها إلا التراثيون الحقيقيون ، وأن الإفادة الحقيقية من التراث لا يستطيعها إلا من فهموا الحداثة فهما حقيقيا، بعيدا عن الإفراط ، والتفريط، فهما يجعلهم يستحسنون الحسن/ ويستقبحون القبيح، ويرتبون الأولويات بناء على أهميتها في كل من التراث والحداثة على حد سواء"¹⁰ ويقول أيضا: " وصحيح أن حديثنا عن تراثنا يدل على إعجابنا به، ولكنه لا يعني البتة التقوقع عليه، وإنما يعني ويوحى منه أن نقرأ الثقافات الإنسانية القديمة، والمعاصرة، وأن نأخذ ما ينفعنا منه... وذلك لأن المعاصرة لا تعني أبدا الانقطاع والاستغراب عن الأصول، والضياع في تيه الحاضر، وإنما تعني أن نفهم العصر، ونقبله، ونجيد تحديد مكاننا، وطريقنا، والدخول بأنفسنا، وتسجيل هويتنا الحضارية، فثمة فرق كبير بين المعاصرة والتغرب من جهة، والأصالة والتقوقع على الماضي، وتراثه من جهة أخرى، وهذا أمر لا يستطيع فهمه الغرباء عن العصر، المنقطعين عنه، أو الغرباء عن أنفسهم، المنقطعون عنها على السواء.. لأن المعاصرة لا يستطيعها إلا الأصلاء، والتأصيل لا يستطيعه إلا المعاصرون حقا "¹¹، ومن هنا فقد كان رحمه الله يوصينا بضرورة التزود من اللغة العربية، وعلومها، والعناية بكتب التراث، حتى نستطيع أن نتلقى ما أنتجته اللسانيات الحديثة تلقيا صحيحا.

ومن مظاهر انفتاح الأستاذ رحمه الله على ما أنتجته الحضارة المعاصرة، الحث على اقتحام طلبه العلم مجال التكنولوجيا، لإفادة البحث، والساحة العلمية العربية، وللوقاية من أعداء الفكر الإسلامي العربي، كالكيان الصهيوني حيث يقول: "فضلا عما تقدم ينبغي أن نركز جهود جميع العاملين في ميدان العلم والثقافة على إيجاد مواقع علمية دقيقة على الإنترنت، وإنتاج أقراص (cd) علمية، تتسم بالدقة العلمية المطلقة، بحيث يستطيع الباحث أن يعدها معادلا للكتاب المحقق، الموثق حاليا. وذلك لأن الآخرين لا ينتظروننا، ولن يرحموننا، بل يتربصون بنا الدوائر"¹² ويقول أيضا: "من الضروري أن تدفعنا إحصاءات المنظمات الدولية التي تدرج كل البلاد العربية ضمن الدول الجائعة معلوماتها، في حين تصف الكيان الصهيوني بأنه من الدول النهمة تكنولوجيا، وأن أحد أهدافها من إقامة سلام مع الدول العربية هو السيطرة على سوق التكنولوجيا في المنطقة، أقول أن تدفعنا إلى مزيد من الإصرار والجهد في هذا الفضاء، حتى ندافع عن أنفسنا، ونأخذ حقنا السليب في فلسطين"¹³.

وكما كان يحث على ضرورة اقتحام الفضاء الإلكتروني، فقد كان يحرص كذلك على تعريب الوسائل الإلكترونية كالحاسوب، وقد أوصانا مرة وحثنا ونحن في الدرس بأن نعرب حواسيبنا، وقد غابت عني هذه الوصية حتى ذكرتها وأنا أقرأ قوله حيث يقول: "إلا أن القدر الأكبر من تعاملاتنا معه في الوطن العربي، لما يزل باللغة الإنجليزية، أو الفرنسية، مما يعني أننا بحاجة ماسة، وسريعة لنجاري غيرنا في تعريب الحاسوب، بالمعنى الحقيقي الجامع المانع للكلمة، بعدما زادت أهميه اللغة في عصر المعلومات الذي نعيش فيه، حتى بلغت الصدارة، الأمر الذي يجعلنا ندرك سبب إحياء بعض الأمم للغاتها الميتة، أو شبه الميتة، مثل اللغة العبرية لدى العدو الصهيوني"¹⁴.

3: التحقيق عند الأستاذ أحمد فوزي الهيب وبعض سماته

المميزة:

كانت مهنة الأستاذ رحمه الله، ووظيفته الأولى والأساسية هي تحقيق الكتب، ولا شك أن التحقيق باعتباره فنا يقع فيه التمايز، والاختلاف بين أصحابه، إذ لكل محقق طريقته ومسلكه اللذان يتميز بهما، وأستاذنا رحمه الله نفسه يشير إلى ذلك فيقول: "لكل محقق طريقته المختلفة في التحقيق، والقراءة، والفهم لما هو موجود في المخطوط، على الرغم من وجود قدر مشترك بين المحققين جميعاً"¹⁵، ومن هنا فإننا نحاول أن نستقرئ شيئاً قليلاً فيما يتعلق بسمات فن التحقيق عند الأستاذ، وكيف كانت رؤيته وممارسته لعلم التحقيق، فهو أولاً كان يرى أن التحقيق أكثر مشقة من التأليف، لما يحتاجه من مزيد العناية يقول في هذا: "فالتحقيق إذن أمر جليل، يحتاج من الجهد والعناية، أكثر مما يحتاج إليه التأليف، حتى لقد قال الجاحظ: ولربما أراد مؤلف الكتاب أن يصحح تصحيحاً، أو كلمة ساقطة، فيكون إنشاء عشر ورقات من حر اللفظ، وشريف المعاني، أيسر عليه من إتمام ذلك النقص، حتى يردّه إلى موضعه من اتصال الكلام"¹⁶ ويقول أيضاً: "يعتقد بعض الناس أن التحقيق أمر سهل، يستطيع أي إنسان يملك قدراً قليلاً من العلم أن يقوم به، وقد أوصلهم إلى ذلك ما يرونه من كتب محققة مألوفة بالأخطاء"¹⁷ ولا شك أن من يرى التحقيق برؤية الأستاذ، فإنه لابد أن يحاول في أن يبلغ جهده في التزود من أدواته، واتخاذ العدة الكاملة له، إذ النقصان والعيب غالباً ما يأتيان من الاستسهال، كما أن الدقة والإتقان غالباً ما يكونان وليداً تقدير الشيء حق قدره.

هذا فيما يتعلق برؤية الأستاذ رحمه الله لعلم التحقيق ومكانته عنده، أما فيما يتعلق بسماته فمنها؛ أهمية الدوافع والأسباب التي كان لها الأثر في إنتاجه

التحقيقي، حيث لم تكن وظيفة التحقيق عند الأستاذ رحمه الله مجرد حب إضافة كتب إلى المكتبة العربية، مهما كانت مرتبة تلك الكتب، أو نوعها، فإن هذا قد يكون مظهرا من مظاهر الفوضى في التحقيق، ولكن كانت لتحقيقاته دوافع وعوامل هامة، ومكمن أهميتها أن تلك الدوافع والعوامل مما يضي على تحقيقاته الثقة بها، والاطمئنان إليها، فمن بين الأسباب، والعوامل التي كانت وراء تحقيقات الأستاذ رحمه الله، تصحيح مسار بعض الأفكار، و المغالطات الشائعة، ومن ذلك ما شاع عن العصر المملوكي من أنه عصر الانحطاط والانحدار، ولهذا نجده يكثر من تحقيق كتب هذا العصر، ذلك أنه كان يرى أن هذا العصر قد اهتم بما هو بريء منه، ولا بد من إزالة هذا الاتهام عنه، ونصرته بأي وسيلة من الوسائل العلمية، وقد جعل رحمه الله من التحقيق وسيلته إلى ذلك، وفي ذلك يقول رحمه الله: "عيننا منذ زمن طويل ما يربو على الثلاثين عاما بتاريخ العصر المملوكي، وحضارته، وعمارته، وحيواته العلمية، والأدبية، والاجتماعية، وغير ذلك، وخاصة بعدما أدركنا إدراكا يقينا أنه قد حاق به كثير من الظلم، بإهماله تارة، وجمعه مع العصر العثماني وإطلاق أحكام واحدة جائرة عليهما تارة ثانية، رغم ما بينهما من فروق كبيرة، يجعل جمعهما معا من أكبر الأخطاء العلمية، التي لا يمكن أن تغتفر أبدا... لذلك رأينا من الواجب علينا أن نخصص كثيرا من جهودنا لإلقاء بعض الأضواء على هذا العصر، وآدابه، ليكون لنا شرف الإسهام في إنصافه، فألفنا، وحققنا، وطبعنا بعض الكتب عنه، ومنه"¹⁸ ويقول كذلك في مقدمه تحقيق كتاب حسن الصريح: "لذلك توخيت إلى تحقيق هذا الكتاب بعدما حققت من قبل ديوان ابن الوردي راجيا أن أستمر، وأن يستمر غيري في هذا الاتجاه، حتى نرفع الظلم عن هذا العصر"¹⁹.

ومما يجدر أن نقف عليه هنا أن الأستاذ رحمه الله قد توفرت فيه صفة من أهم الصفات المطلوبة في المحققين، وهي الخبرة، وطول الممارسة للعصر الذي أنشئ فيه الكتاب وألف، فهو يخبرنا أنه مكث ما يزيد على الثلاثين عاماً، بل أربعين عاماً كما يذكر في مقدمة كتابه شعر ابن جابر²⁰، فقد كانت بداية اتصاله بهذا العصر منذ ستينات القرن الماضي حينما كان طالباً في الثانوية²¹، ولا شك أن طول هذه المدة عامل مهم من العوامل التي تكوّن الثقة، والاطمئنان بتحقيقات الأستاذ رحمه الله للكتب المؤلفة في هذا العصر.

ورغم ما عند الأستاذ من هذه الخبرة، وطول الممارسة، إلا أنه رحمه الله لم يكن يتكل عليها، وإنما كان يبذل في كل تحقيق غاية جهده، ثم يتبرأ من بلوغ الكمال في تحقيقه، فنجد في مقدمته نظم العقدين يقول: "وبعد فقد بذلنا في هذا العمل أقصى ما أوتينا من جهد، ومع ذلك لا نستطيع أن نزعم من أنه بلغ الكمال، شأنه شأن كل عمل يقوم به الإنسان الضعيف، الذي كثيراً ما ينسى ضعفه، أو يتناساه، {وإن يسلمهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب}^{22,23} .

ومن مظاهر عدم اتكاله على خبرته وأخذه بالحزم في التحقيق، أنه أحياناً كان يستعين بغيره ممن يرى فيهم الأهلية، وذلك زيادة في التحرير، والإتقان، يقول في مقدمة تحقيقه لكتاب الحسن الصريح متحدثاً عن نسخته المخطوطة: "مقارنة خطها بخط الصفدي، والتي أثبتت أن الخطين لكاتب واحد، وهو الصفدي ولم أكتف بمقارنتي الشخصية فقط، وإنما استعنت بالمستشار عصام الشنطي مدير معهد المخطوطات العربية بالإناية آنذاك الذي أكد ما وصلت إليه بعد دراسة ومقارنة دقيقتين مشكورتين"²⁴ .

ومن دوافع تحقيقات الأستاذ رحمه الله تعالى امتنانه، وحبه، واعتزازه بمدينته حلب الشهباء، وقد ذكر ذلك في مقدمة تحقيقه لكتاب الدر المنتخب

حيث يقول: "وأما بالنسبة إلى اختيار كتاب الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب لابن خطيب الناصرية، فثمة أسباب عدة، دفعتني إلى ذلك أهمها: اعتزازي، وحيي لمدينتي حلب الشهباء، أقدم مدينة مأهولة في العالم، وأعرقها

أنني منذ بدء دراستي العليا في بداية سبعينات القرن العشرين بجامعة الإسكندرية، اخترت أن أشرف بخدمة مدينتي حلب الشهباء، لعلي أوفيتها بعض حقها علي، ولأن أهل حلب أدري بشعابها²⁵ وقوله الأخير (ولأن أهل حلب أدري بشعابها) ، قول يبعث في القارئ الثقة التي تحدثنا عنها آنفا، كما يشير في هذه المقدمة إلى أن أحداث ما يسمى بالربيع العربي كانت كذلك أحد الدوافع إلى تحقيقه للكتاب حيث يقول: "وكذلك منها ما حدث، ويحدث في حلب منذ خمس سنوات حتى تاريخ كتابه هذه السطور، من أحداث مؤسفة، لم تخطر على بال أحد، أردت أن أسهم في ترميم ما تهدم في الجانب العلمي منها، فعكفت أكثر من خمس سنين في الغربة على تحقيق هذا الكتاب، تعبيرا عن حبي لحلب بالعلم الذي لم يتبق سواه، لمن كان مثلي بعيدا عن موطنه في السبعين من عمره"²⁶.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن التحقيق عند الأستاذ رحمه الله، لم يكن عنده مجرد وظيفة، أو فن أو هواية، وإنما كان التحقيق بالنسبة إليه مسؤولية، وذلك أنه كان يرى أن التحقيق يجب أن يكون في خدمة الأمة الإسلامية، ومراعاة أحوالها الحاضرة، فليس كل كتاب صالح أن يحقق. خاصة إذا كان يتصادم، أو لا يتلاءم مع أوضاع الأمة في هذا العصر، ولذلك ينبه على ما يجب أن يكون عليه المحقق من " الوعي، والإخلاص لأمته، والقدرة على أن يختار من كتب التراث غير المحققة ما يفيد أمته في حاضرها ليحققه، فثمة كتب يجب تقديمها على غيرها في التحقيق لأهميتها في هذه المرحلة التي تمر بها أمتنا، و ثمة كتب يمكن تأجيل تحقيقها، و ثمة كتب ضارة في هذه المرحلة، يجب أن نستبعد تحقيقها في هذه

المرحلة من حياة أمتنا على الأقل²⁷ والأستاذ في هذا يُعمل مبدأ فقه الأولويات في علم التحقيق.

ومما يندرج في هذا المساق تنبيه الأستاذ إلى أزمة التحقيق التي تعانيها ثقافة التحقيق في العالم العربي، فيما سماه بفضوى التحقيق، وقد ذكر أن هذه الفضوى تتجلى " في تفاوت مستويات التحقيق تفاوتاً مخيفاً، فثمة كتب قد حققت تحقيقاً علمياً دقيقاً، وثمة كتب أخرى يتمنى المرء في أحيان كثيرة لو أنها بقيت مخطوطة، أو صورت صورة طبق الأصل عن مخطوطاتها، ونشرت كما هي، أو نُضدت فقط، ونشرت منضدة فقط من غير أي تعليق، لأن ما فيها من تعليقات تضلل وتخطئ القارئ غير المتمكن، وما بين النوعين السابقين مستويات مختلفة من مستويات التحقيق، من حيث العلم، والجهل، والدقة، وعدمها، كما تتجلى الفضوى أيضاً في تحقيق الكتب المحققة بلا سبب مقنع في كثير من الأحيان، بل ربما كان التحقيق السابق أفضل من التحقيق اللاحق"²⁸.

ومن السمات المميزة في تحقيق الأستاذ رحمه الله أنه كان يراعي أحوال المتلقي للنص المحقق، ولهذا كان يُعنى بالجانب الفني في التحقيق، لما له من أثر كبير على نفسية القارئ يقول في مقدمة نظم العقدين: " واكتفينا بالإشارة إلى بداية كل ورقة من ورقات النسخ الأخرى، من غير أن نميز بين قسميها (أ) و (ب)، تخفيفاً على القارئ، كما جعلنا إشارتنا إلى ذلك في الحواشي، وليس في الفراغات الموجودة على يمين الصفحات، أو يسارها، حتى لا نشتت عيني القارئ، بين المتن، والحواشي، وجوانب الصفحات، وهو اجتهاد منا، نرجو أن يكون موفقاً"²⁹ ولمراعاته أحوال القارئ فقد كان دائماً يحرص على الإيجاز في التعليقات ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، فلم يكن يحبذ ملء الكتاب وإثقاله بنصوص تخرجه عن موضوعه الأصلي.

خاتمة:

خاتمة هذا المقال أن نذكر بعض النقاط، مما يمكن أن نستنتجها كفوائد مما تناولناه من سيرة الأستاذ رحمه الله، ومسيرته العلمية: . أن يحرص الأستاذ على أن يكون معلما بأحواله، وأفعاله، قبل أن يكون معلما بأقواله . أن يحرص الأستاذ أن لا يجعل من التعليم وظيفة قاصرة على ما هو مطالب بتقديمه من المواد المقررة، وإنما يحاول أن يفيد طلبته بكل ما يستطيع الإفادة به، من النصيح، والإرشاد، والتوجيه . إن الانتساب إلى التراث لا يعني أبدا الانقطاع عن كل ما هو حديث، كما أن الحداثة لا تعني انقطاع الإنسان عن تراثه، إذ لا تصلح الحداثة بدون التراث، كما لا يصلح التراث بدون الحداثة . إن التراث كما الحداثة ليسا على درجة واحدة إذ فيهما ما هو مقبول، كما أن فيهما ما هو غير ملائم لثقافة العصر، أو ما هو مرفوض . إن التحقيق قبل أن يكون فنا وهواية، لابد أن يكون مسؤولية تجاه الأمة والتزاما بما يحقق نفعها، وإن مما ينبغي أن يراعيه المحقق في تحقيقاته أعمال مبدأ فقه الأولويات . أن يكون المحقق على وعي بخطورة ممارسة التحقيق، حتى يتخذ العدة والوسائل الكافية له، ومن أهم الوسائل طول الممارسة والخبرة بعصر الكتاب المخطوط . ونوصي في الأخير أن يتجه طلبة اللغة والأدب بدراسات ومراجعات لكتب الأستاذ، و تحقيقاته، ومقالاته، سواء من الجانب العلمي، أو من الجانب المنهجي للكشف عن فكر رجل أفنى جل عمره في خدمة التراث الأدبي العربي تحقيقا وتأليفا.

الإحالات:

- ¹ القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي , الطبعة الثانية , 1983, ترتيب المدارك وتقريب المسالك, تح : محمد بن تاويت الطنجي , وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية , المملكة المغربية , ج1, ص130
- ² انظر شرح أشعار الهذليين , صنعة أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري , تح : عبد الستار أحمد فراج , مكتبة دار العروبة , مطبعة المدني, القاهرة, ج1, ص4
- ³ كنت قد نسيت هذا الموقف فذكرني به أحد الزملاء وهو محمد زعباط
- ⁴ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري , ط الأولى , 1400 هـ , الجامع الصحيح (صحيح البخاري) , تح : محب الدين الخطيب , المطبعة السلفية, القاهرة , ج3, ص43
- ⁵ أحمد فوزي الهيب , 2019. 2020, محاضرات في تحقيق المخطوطات , ص5
- ⁶ المصدر نفسه , ص26
- ⁷ أحمد فوزي الهيب , 25 نوفمبر 2018, التقنيات المعاصرة وضرورتها في البحث العلمي وتحقيق المخطوطات, مجلة الآداب واللغات, المجلد 18 , العدد 01 , ص11
- ⁸ أحمد فوزي الهيب , ط الأولى 2007 شعر ابن جابر الأندلسي , دار سعد الدين , دمشق, ص10 و 12 و 14
- ⁹ أحمد فوزي الهيب , 2019. 2020, محاضرات في تحقيق المخطوطات, ص19
- ¹⁰ أحمد فوزي الهيب , آذار 2011 , التراث والحداثة في مجلة المعرفة, مجلة المعرفة , العدد 570 , ص51, 52
- ¹¹ أحمد فوزي الهيب , 2019. 2020, محاضرات في تحقيق المخطوطات, ص4
- ¹² المصدر نفسه ص 53
- ¹³ أحمد فوزي الهيب, 25 نوفمبر 2018, التقنيات المعاصرة وضرورتها في البحث العلمي وتحقيق المخطوطات, مجلة الآداب واللغات, المجلد 18 , العدد 01, ص 12
- ¹⁴ المصدر نفسه ص 10
- ¹⁵ أحمد فوزي الهيب , ط الثانية 1989, مقدمة التحقيق لكتاب العروض لابن جني , دار القلم, الكويت , ص6
- ¹⁶ أحمد فوزي الهيب, 2019. 2020, محاضرات في تحقيق المخطوطات , ص6
- ¹⁷ المصدر نفسه ص 36
- ¹⁸ أحمد فوزي الهيب , ط الأولى 2005 , مقدمة التحقيق لكتاب نظم العقدين في مدح سيد الكونين لابن جابر , دار سعد الدين, دمشق , ص 5 و 6

- ¹⁹ أحمد فوزي الهيب , ط الأولى 2003, مقدمة التحقيق لكتاب الحسن الصريح لصالح الدين الصفدي , دار سعد الدين , دمشق, ص6
- ²⁰ أحمد فوزي الهيب , ط الأولى 2007 شعر ابن جابر الأندلسي , دار سعد الدين , دمشق, ص 5
- ²¹ أحمد فوزي الهيب , ط الأولى 2018, مقدمة التحقيق لكتاب الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب لابن خطيب الناصرية, مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين الثقافية , الكويت ص5
- ²² سورة الحج الآية 73
- ²³ أحمد فوزي الهيب , ط الأولى 2005 , مقدمة التحقيق لكتاب نظم العقدين في مدح سيد الكونين لابن جابر , دار سعد الدين, دمشق, ص 16
- ²⁴ أحمد فوزي الهيب , ط الأولى 2003, مقدمة التحقيق لكتاب الحسن الصريح لصالح الدين الصفدي , دار سعد الدين , دمشق, ص 12, 13,
- ²⁵ أحمد فوزي الهيب , ط الأولى 2018, مقدمة التحقيق لكتاب الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب لابن خطيب الناصرية, مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين الثقافية , الكويت , ص 17
- ²⁶ المصدر نفسه , ص 18
- ²⁷ أحمد فوزي الهيب, 2019. 2020, محاضرات في تحقيق المخطوطات , ص36
- ²⁸ أحمد فوزي الهيب , مشروع تنظيم اختيار المخطوطات لتحقيقها وتطويره , مجلة التراث العربي 123. 124 ص 360
- ²⁹ أحمد فوزي الهيب , ط الأولى 2005 , مقدمة التحقيق لكتاب نظم العقدين في مدح سيد الكونين لابن جابر , دار سعد الدين, دمشق, ص 15.

المراجع:

القرءان الكريم.

- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري , ط الأولى , 1400 هـ , الجامع الصحيح (صحيح البخاري) , تح: محب الدين الخطيب , المطبعة السلفية, القاهرة , ج3.
- أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري, شرح أشعار الهذليين, تح: عبد الستار أحمد فراج, مكتبة دار العروبة , مطبعة المدني ج1.
- أحمد فوزي الهيب:
2019. 2020, محاضرات في تحقيق المخطوطات.
- 25 نوفمبر 2018, التقنيات المعاصرة وضرورتها في البحث العلمي وتحقيق المخطوطات, مجلة الآداب واللغات, المجلد 18 , العدد 01.
- ط الأولى 2007 شعر ابن جابر الأندلسي , دار سعد الدين , دمشق.
- آذار 2011, التراث والحداثة في مجلة المعرفة, مجلة المعرفة, العدد 570.

- . ط الثانية 1989, مقدمة التحقيق لكتاب العروض لابن جني , دار القلم, الكويت .
- . ط الأولى 2005 , مقدمة التحقيق لكتاب نظم العقدين في مدح سيد الكونين لابن جابر , دار سعد الدين, دمشق .
- . ط الأولى 2003, مقدمة التحقيق لكتاب الحسن الصريح لصالح الدين الصفدي , دار سعد الدين , دمشق.
- . , ط الأولى 2018, مقدمة التحقيق لكتاب الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب لابن خطيب الناصرية, مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين الثقافية , الكويت.
- . مشروع تنظيم اختيار المخطوطات لتحقيقها وتطويره , مجلة التراث العربي 124.123.
- . القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي , الطبعة الثانية, 1983, ترتيب المدارك وتقريب المسالك, تح: محمد بن تاويت الطنجي , وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية , المملكة المغربية, ج 1.